Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« وهو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بـ (اللمع) لابن جني ، و(الإيضاح) لأبي علي الفارسي »[1] .

وقيمة الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب مرآة الجنان : « أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتابه - أي للجمل - مائة وعشرين شرحاً »[2] . وكذلك نقل ابن العماد في شذرات الذهب[3] . وقد طوت الأيام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبلغنا إلا أقلها .

أما كتاب (الجمل) نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعلّ أحد المتقدّمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس إلى كتب النحويين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب ، فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقلّ أن نجد بين كتب النحو القديمة مثل كتاب الجمل وضوحاً وبياناً . وليس عيباً أن يخرج الزجاجي عما وضعه سيبويه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ، والبخل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات (الكتاب) لا يفهمه إلا فقهاء العلم والراسخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلئن كان كتاب سيبويه وأمثاله يصلح للشيوخ الذين تعمّقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأسراره ، إن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتطلعين إلى تعلمه ، وذلك لأنه : « كانت طريقته في النحو متوسطة ، وتصانيفه يقصد بها الإفادة »[4] . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتآليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السِّيْد البطَلْيوسي : « وإنه - أي الزجاجي - من أئمة هذه الصناعة ، فإنا بكتابه قد افتتحنا

---

(١) إنباه الرواة ١٦١/٢

(٢) مرآة الجنان ٣٣٢/٢

(٣) شذرات الذهب ٣٥٧/٢

(٤) إنباه الرواة ١٦٠/١